الشيخ خضر الكردي المهراني
دوره و اثــره فـــي مصــر و بــلاد الـشـــام

د. قادر محمد حسن
مدرس
جامعة صلاح الدين - كلية الاداب

ملخص البحث

هذه الدراسة معنونة ب (الشيخ خضر الكردي المهراني دوره واثره في مصر وبلاد الشام) مخصصة مخصصة لبحث دور احدى الشخصيات الصوفية المعروفة بتنبؤاته وسلطاته الواسعة داخل الدولة المملوكية في مصر وبلاد الشام على عهد السلطان الظاهر بيبرس (٦٥٨- ٦٧٦هـ) الذي كان يربطه مع الشيخ خضر علاقة ود وصداقة الى سنة ٦٧١هـ

ان طبيعة الموضوع اقتضت معالجته من خلال خمسة محاور : ففي المحور الاول بحثنا اسم الشيخ واصله ولقبه . اما المحور الثاني فخصص لسيرة الشيخ من ولادته ونشأته ومن ثم انتقاله الى بلاد الشام وبروزه هناك صوفيا يتعبد في جبل المزة بالقرب من مدينة دمشق ، حيث دخل في علاقة حميمة مع بعض الامراء المماليك الذين كانوا يعتقدون فيه ويعظمونه ، وعالج المحور الثالث علاقات الشيخ مع الظاهر بيبرس وكيفية استثمار تلك الروابط والثقة من قبل الشيخ لازدياد نفوذه وتقوية مكانته داخل الدولة حتى اصبح يتدخل في بعض الامراء وركز المحور الرابع على اهم الاعمال الحضارية التي قام بها الشيخ على نحو بناء المساجد والخانقاهات واطعام المعوزين ومساعدتهم ، وذلك باستخدام نفوذه وعلاقته الخاصة مع السلطان الظاهر ، وتناول المحور الاخير السنوات الاخيرة لحياة الشيخ خضر والتي رسمتها كيفية تغير السلطان عليه ومن ثم القائه في السجن حيث قضى حوالي خمسة سنوات الى ان توفي سنة ٦٧٦هـ ، ولخصت في الخاتمة أبرز الاستنتاجات التي توصلنا اليها من خلال البحث .

توطئة

خصصت هذه الدراسةو التي هى محاولة متواضعة لبحث سيرة الشيخ خضر المهراني و لتتبع دور واثر هذه الشخصية الصوفية التى جذبتنى سيرته ونشاطاته فضلاً عن علاقته بالدولة المملوكية وعلى وجه الخصوص السلطان الظاهر بيبرس الذى يعد من الشخصيات البارزة في تاريخنا الاسلامي، اذ خلف بصماته على تاريخ مصر و بلاد الشام، ومن خلال هذا البحث نذكر على دور شخصية الشيخ خضر الذى يكاد يكون منسيا في التاثير على الظاهر بيبرس واهتمام هذا الاخير بالشيخ و اعتقاده فيه ومن ثم اطلاق يده في الدولة وقيامه ببعض الاعمال بتشجيع من الشيخ.

يتكون البحث من خمسة محاور: ركز المحور الاول على اسم الشيخ و لقبه فضلاً عن اصله و نسبه وعالج المحور الثاني سيرة الشيخ خضر وخاصة ولادته ونشاته وهجرته الى بلاد الشام وبروزه هناك صوفياً. اما المحور الثالث فخصص لدراسة علاقة الشيخ خضر مع الملك الظاهر بيبرس و ثقته به ومن ثم بيان ابعاد تلك العلاقة و اشادة المصادر بها. اما المحور الرابع فقد درس الاعمال و النشاطات الحضارية التى قام بها الشيخ خضر في مصر و بلاد الشام وتطرق المحور الخامس الى وفاة الشيخ و كيفية نهاية حقبة الوئام و العلاقات الودية بين الشيخ و الملك الظاهر و حلول التشنج و الخصام محل المودة و الاحترام

والتى انتهت باعتقال الشيخ و القائه في السجن الى حين وفاته. وخصصت الخاتمة لعرض جملة من الاستنتاجات التى توصلنا اليها من خلال استقراء المعلومات التاريخية المتعلقة بمادة البحث.
تجدر الاشارة ان لبحث قداستقى مادته العلمية من عددغير قليل من المصادرالاصلية فضلا عن مراجع علمية ،ومن اهم هذه المصادر كتاب (ذيل مراة الزمان)لليونينى(ت٧٢٦ه/١٣٢٦م)الذى يحوى معلومات قيمة عن شخصية الشيخ خضر وارتباطاته وكيفية نهاية علاقته مع السلطات المملوكية. ويعد كتاب (البداية والنهاية)للمؤرخ ابن كثير(ت ٧٧٣ه/١٣٧٢م) مصدرا قيما لدراسة سيرة الشيخ خضر و اهم اعماله ونشاطاته العمرانية.وشكل كتاب (عيون التواريخ) للكتبى (ت ٧٦٤ه/١٣٦٣م)ايضا مصدرا لايمكن الاستغناء عنه لفهم بدايات ظهورالشيخ وارتباطاته بذوى السلطات داخل الدولة المملوكية .

اولاَ: اسمه و نسبه:

هو خضر بن أبي بكر بن موسى الكردي[١]. وكان يلقب في بعض المصادر [٢]بالمهراني[٣] العدوي [٤]ويكنى بأبي العباس [٥]ولم تذكر المصادر المتاحة معلومات تفصيلية عن أسرته وشجرة نسبه.

ثانياً: ولادته ونشأته:

ولد الشيخ خضر في قرية المحمدية من أعمال جزيرة إبن عمر[٦] ولم تحدد المصادر سنة ولادته، كان في بداية نشأته يعمل عند اكابر بلدته ويذكر بانه خدم عند نورالدين علي[٧] ثم انتقل من الأعمال و رحل الى حلب ثم لم يبق فيها كثيراً حيث أنتقل الى دمشق واستقر عند أحد أُمرا، الكرد هناك وتفرغ للعبادة بجبل المزه بالقرب من دمشق وأقام بمغارة في زاوية واجتمع بجماعة من الصالحين.[٨]وهكذا بدا مشواره الصوفي و ذاع صيته في هذا المجال، حتى اعتقد به الناس و اصبح له مريدون و اتباع.

وكان ممن يترددون عليه الامير سيف الدين قشتمر العجمي، احد امراء المماليك الذي وقع تحت تاثير الشيخ خضر و اعجب بمسلكه الصوفي وكان على حد قول بعض المؤرخين. - ان الشيخ خضر كان- يخبر العجمي بامور قبل وقوعها و كان الاخير يصدق توقعات الشيخ وخاصة فيما يتعلق بالامير بيبرس البندقداري (الظاهر بيبرس) قبل ان يصبح سلطانا.[٩]

وهكذا استولى الشيخ خضر على عقول بعض امراء المماليك انذاك من لذين وجدوا فيه عابدا ناسكا و متنبا صادقا مما له اثره على نشأة الشيخ و ذيوع شهرته من ثم تقرب السلطات اليه و دخوله في معترك الحياة السياسة.

يرى الباحث ان الشيخ خضر عندما انتقل الى بلاد الشام و استقر بة المقام هناك دخل بجد في سلك المتصوفة و انقطع للعبادة في جبل المزة بالقرب من مدينة دمشق، و ذاع صيته متصوفا حتى عرف بانه ((صاحب حال وتصرف، وكشف وهمة ومدد))[١٠] وهكذا نشا الشيخ خضر نشاة الصوفيه وكان منشأ شهرته يرجع الى بداية العهد المملوكي، ولكن لم يكن معروفا لدى امراء المماليك الى بداية النصف الثاني من القرن السابع الهجرى/الثاني عشر الميلادي، اي ان الشيخ بقى مواظبا على العبادة و الانقطاع في مغارته الى ان يشتهر بالصلاح و اصبح ((معظما عند الخاص و العام))[١١] بعد ان اعتقد الناس به و وجدوه بان له ((حال وكشف ونفس مؤثرة...))[١٢] ويلحظ ان شهرة الشيخ خضر و نشاطاته بدات تظهر للعيان عقب انجذاب امراء المماليك اليه ومن ثم مشاركته حتى في قرارات الدولة .

ثالثا: الشيخ خضر والملك الظاهر بيبرس:

يعد الامير بيبرس البندقداري من امراء المماليك البحرية الذين ساهموا في النهوض بالدولة المملوكية في مصر ومن ثم تثبيت اركانها في بلاد الشام لذا يعد المؤسس الحقيقى للدولة المملوكية[١٣].

ان علاقة الامير بيبرس بالشيخ خضر يرجع الى فترة سبقت سلطنة الامير المذكور بسنين وذلك حسب ماورد في المصادر ان الامير سيف الدين قشتمر العجمي الذي كان مقربا من الامير بيبرس البندقداري اكان يتردد الى الشيخ خضر و في احدى المرات قال له الشيخ خضر بان بيبرس البندقدارى لابد ان يتسلطن و يتولى مقاليد الامور واخبر الامير سيف الدين بدوره الامير بيبرس بما سمعه من الشيخ المذكور[١٤].

وهناك من المؤرخين من ذكر ان الامير بيبرس قد التقي بنفسه الشيخ خضر و اخبره الاخير بانه سوف يملك ويصبح سلطانا للمماليك وذلك قبل استيلائه على مقاليد السلطة المملوكية[١٥]، ولكن نرجح الراى الاول وذلك لان غالبية المصادر متفقة عليه و لكونه الصق بالواقع التاريخي المتعلق بعلاقة الامير سيف الدين قشتمر مع الشيخ خضر و ملازمته له.

و بعد ان تمكن الامير بيبرس وبمساعدة كبار امراء المماليك من قتل الملك المظفر قطز سلطان المماليك (٦٥٧-٦٥٨ه/ ١٢٦٠-١٢٦١م) نصب نفسه سلطانا[١٦] إذ حكم من(٦٥٨-٦٧٦ه/١٢٦٠-١٢٧٧م) والذي رسخ بعمله هذا داخل الدول المملوكة قاعدة ان الحكم للاقوى[١٧] وهكذا تحققت نبؤة الشيخ خضر و ننسلطن الامير بيبرس و لقب بالملك الظاهر.

وقد اجمعت المصادر على ان تحقيق النبؤة المذكورة كان بمثابة البداية الحقيقية لشهرة الشيخ و تقرب الملك الظاهر اليه حتى ذكر بانه صار له فيه عقيدة عظيمة[١٨]، وكان ((ينزل عنده الى زاويته في الاسبوع مرة او مرتين و يستصحبه معه في كثير من اسفاره، ويلزمه و يحترمه ويستشيره....))[١٩] اي ان السلطان، بالغ في اكرامه وحاول ان يستفيد من نبؤاته في اعماله السياسة و العسكرية فلم يلبث ان ازداد نفوذ و شهرة الشيخ خضر داخل الدولة المملوكية وعلى وجه الخصوص بعد ان اخبر السلطان بجملة من الامور قبل وقوعها وخاصة فيما يتعلق بفتوحاته و معاركه فتقع على مايخبر به مما ازدادت من ثقة السلطان به،حتى ان احد الشعراء نظم قصيدة تعد وثيقة تاريخية توءكد ملازمة الشيخ للملك الظاهروحتى فى معاركه اذ يقول:

ماالظاهر سلطان الا مالك ال	دنيا بذاك لنا الملاحم تخبر
ولنا دليل واضح كالشمس فى	وسط السماء بكل عين تنظر
لما رأينا الخضر يقدم جيشه	ابدا علمنا انه الاسكندر[٢٠]

بلغت مكانه الشيخ خضر في الدولة المملوكية حدا حتى اخذ يتدخل في امور الدولة و بموافقة السلطان الظاهر وكان معظما عند الناس بسبب حب السلطان و اعتقاده به وحتى ذكر بانه كان يمازحه اذا جلس عنده[٢١] : و ((كان يتصرف في جميع مملكة السلطان الملك الظاهر تصرف الحكام، وكتبه ممثلة لاترد في ساير الممالك الاسلامية الداخلة في سلطان الملك الظاهر))[٢٢] وحتى ذكر بأنه يحكم في المملكة ولايحكم عليه ويتقي جانبه الخاص و العام وحتى ملوك الاطراف و ملوك الفرنج[٢٣] يكنون له الاحترام.

رابعا: نشاطات الشيخ الحضارية:

اغتنم الشيخ خضر نفوذه الواسع داخل الدولة الملوكية و علاقته الخاصة بالملك الظاهر للقيام بجملة من الامور التى يمكن ان نعدها ضمن نشاطات حضارية قام بها الشيخ خضر بنفسه او كان هو السبب في انجازها، بعضها عمرانية وبعضها الاخر تقع ضمن الخدمات الاجتماعية الهدف منها مساعدة الفقراء و المعوزين و رعايتهم.

ذكرت المصادر ان الشيخ خضر كان مهتما بانشاه و بناء الزوايا حتى يقال بان الملك الظاهر بنى له عدة زوايا في مختلف المدن و المناطق المصرية و الشامية كزاوية الحسينية في القاهرة وكما بنى له زوايا بالقرب من دمشق وبالقدس و بعلبك و حماه وحمص حيث خصص لها الاوقافا و في جميعها فقراء يعتمدون على واردات اوقاف تلك الزواي[٢٤]. والظاهر ان اوقاف بعض تلك الزوايا كانت باسم الشيخ خضر نفسه[٢٥]. وتجدر الاشارة ان زاوية الحسينية بقيت شاخصة للعيان الى العصر الحديث و تعرف بزواية الشيخ خضر فى القاهرة[٢٦].

كما وبنى الشيخ بعض الجوامع و المدارس في الاسكندرية ودمشق والقاهرة وذلك بعد ان اشتهر وتمتع بسلطة ونفوذ كبيرين داخل الدولة المملوكية حتى تجاوز في ذلك على حقوق اهل الذمة بعد ان هدم بعض كنا ئسهم و حولها مساجداً[٢٧]

وبالاضافة الى اهتمام الشيخ خضر بالعمران و بناء المساجد، كان حسب ماورد في المصادر واسع الصدر يتقرب من الفقراء يفرق الدراهم و الذهب عليهم، وتطبخ بامره الاطعمة الفاخرة في قدور مفرطة في الكبر يحمل الواحد منها جماعة من العتالين[٢٨]، ويأكل منها الفقراء و المساكين، كما وعرف بانه كان كبير الشان باذلاً للمال [٢٩]فى سبيل الله،وتاكيدا لما ذهبنا اليه فانه استخدم نفوذه الواسع داخل الدولة المملوكية وعمل على مساعدة الفقراء و تخصيص المال لهم حتى ذكر بانه ((قرر بشفاعته للفقراء جملة رواتب، وابرم ولم يخش في ذلك العواقب و لا العواتب، وفاز الى يوم القيامة بذكرها، وجاز محاسن حمدها و شكرها))[٣٠] .

وهذا دليل على ان الشيخ كان رجلاً خيرا شملت نشاطاته حتى الحياة الاجتماعية و الاقتصادية للفقراء و المعوزين اى انه استغل علاقاته الوطيدة مع الملك الظاهر للقيام ببعض الخدمات الاجتماعية تهدف الى رعاية المحتاجين و السهر على النهوض بواقعهم الاقتصادي و تأهيليهم.

اما في الجانب الثقافي فبالرغم من رعايته للعلماء و انشائه لبعض المدارس، كان الشيخ تصدى للتصنيف و الف كتابا بعنوان ((الوظائف المعزية للمناقب المعزية))[٣١] الذى لم تتطرق المصادر الى مضمونه و محتواه.

خامسا: وفاته:

لم يكن الشيخ خضر على وفاق دائما مع الملك الظاهر بيبرس، بل مرت تلك العلاقات بنوع من الركود و الانهيار بدأت من سنة٦٧١ه/١٢٧٢م اذ تغير السلطان على الشيخ و اعتقله وحبسه بقلعة الجبل[٣٢]

لم تجمع المصادر المتاحة على السبب الذى ادى الى تغير موقف السلطان منه واعتقاله، غير ان عدد من اصحاب هذه المصادر ((نسبوه الى امور عظيمة و قبائح لاتكاد تصدر من مسلم))[٣٣] وذكر ان الشيخ لما خالط الناس افتتن ببعض بنات الامراء اللواتي كن لايحتجبن منه. فوقع في الفتنة واخذ بهذا السبب فاقر و اعترف[٣٤]، ولكن تطرق الدواداري المؤرخ الى اسباب اعتقال الشيخ خضر بتفصيل اكثر، اذ يذكر ان ازدياد سلطات الشيخ واطلاق يده في الدولة ارعب بعض ذوي النفوذ في الدولة وخاصة الامير بدرالدين الخزندار نائب السلطنة بمصر وبهاء االدين ابن حنا الوزير فاتفق عليه مع الامير عزالدين ملك الامراء بدمشق، اذ طلب من نواب الشيخ بالشام بالترغيب و الترهيب على الاعتراف عليه ووعدهم بالحفاظ على امتيازاتهم دون ان يمسوا بشيء. وبهذا اعترفوا باشياء قبيحة ثبتت عند قاضي دمشق وسير اولئك النواب الى مصر و صرحوا باعترافاتهم بحضور السلطان و الشيخ خضر من ضمنها اشياء كبيرة كاللواط و الزنا، واتهم بمسالة اخرى وهي ان السلطان قد جاءته هدية من صاحب اليمن ، فاخذها الشيخ خضر من السلطان و اعطاها لاحدى بنات القاهرة ويذكر انها ربما اعترفت على الشيخ بالزنا و راى الامراء ان يقتل الشيخ لانه مطلع على اسرار الدولة ولكن وجم السلطان عندما ذكر الشيخ ان موته قريب من موت السلطان، لذا ابقاه الى ان توفي سنة ٦٧٦ه/١٣٧٧م[٣٥].

ويسوق لنا المؤرخ العمري على لسان ابيه خبرا مفاده ان الشيخ خضر سافر ذات مرة الى دمشق وبقى مدة في دار امراة بنت ابن نظيف التي لم يكن لها زوج وكانت مشهورة بالحسن، محبة لاهل الخير دعت الشيخ الى دارها فاقام عندها بضعة ايام، وانتهز الوزير ابن حنا الفرصة لتشويه سمعة الشيخ، فحمل بنت ابن نظيف بالرغبة و الرهبة على ان تقول في حق الشيخ خضر على انه يشرب الخمر ويزني وما الى ذلك من الاتهامات التي ادلت بها بحضور

نائب دمشق الذي كتب اقوالها وارسلها الى ملك الظاهر لان((الشيخ خضر عظيم المكانة عند الملك الظاهر لايخالفه في شيء، وكان جريئا باللسان وباليد الى غاية، فضاق منه ابن حنا ضيقا عظيماً، ولم يجد له سبيلاً الى ابعاده فشرع في التحيل عليه))[٣٦]. عندما وجهت الاتهامات الى الشيخ خضر ((قال: ما اعرف ما يقوله ومع هذا فاني ماقلت لكم اني رجل صالح، وانتم قلتم هذا، فان كان الذي يقولونه هولاء صحيح فانتم كذبتم))[٣٧].

وفى ضوء ما عرضناه من اسباب اعتقال الشيخ خضر نستطيع القول ان هناك نوع من الإجماع من بعض المؤرخين حول الاتهامات الأخلاقية الموجهة إليه ، وتجدر الإشارة إلى ان إنكار الشيخ خضر لتلك الأتهامات لم يكن بمستوى الأتهامات نفسها بل وكما اشرنا ذكرت بعض المصادر أنها ثبتت عليه واعترف بها ، ومن جهة اخرى يجب ان لا نهمل دور بعض رجال الدولة فى تحريض الملك الظاهر عليه للتخلص منه وعلى رأسهم الأمير بدر الدين الخذندار وبهاء الدين ابن حنا اذ وجدوا فى الشيخ خضر تهديدا لنفوذهم وصلاحياتهم داخل الدولة المملوكية حتى لان الشيخ خضر ((كان يتصرف فى جميع مملكة السلطان الملك الظاهر تصرف الحكام ، وكتبه ممثله لا ترد فى سائر الممالك الإسلامية داخلة فى السلطان الملك الظاهر))[٣٨] وكان ((فى مملكة يحكم ولا يحكم عليه ، ولا يخاف امره فى جليل ولا حقير ، ويتقى جانبه الخاص والعام حتى الامير بدرالدين الخنذار وصاحب بهاءالدين ومن دونهما وملوك الأطراف ، وملوك الفرنج وغيرهم))[٣٩] على الرغم من أن هذه الاشارات التاريخية لا تخلو من المبالغة وربما التلفيق ولكن تكفي للإستدلال على مدى نفوذ الشيخ ومكانته داخل الدولة المملوكية على عهد الملك الظاهر بحيث وجد منه بعض اصحاب النفوذ عائقاً امام تطلعاتهم السياسية.

ومن خلال ما ذكرناه سابقا نستنتج ان سيرة الشيخ خضر الصوفية قد احاطت بنوع من الغموض، لذاوصفه أحد المصادر الصوفية بانه((صاحب حال وتصرف، وكشف وهمه ومدد))[٤٠] وذكر الذهبي[٤١] إنه((كان له حال وكشف ونفس مؤثرة مع نسخه فيه، ومرد له ومزاح))[٤٢] واشارت مصادر اخرى الى انه((كان صاحب حال ونفس قوية، وكان له حال كاهني))[٤٣].بينما نقل عن الامام ان يتيمة قوله((كان خضر مسلماً صحيح العقيدة، لكنه قليل الدين، باطولي[٤٤]، له حال شيطاني))[٤٥] وذكر المؤرخ إبن كثير بانه((كان فيه خير ودين وصلاح))[٤٦].

وبعد كل ماتقدم نعتقد ان هذا الاختلاف في تقويم المؤرخين له مرده الى سلوك الشيخ خضر نفسه تصرفاته، إذ لابد ونحن ندرس السيرة الصوفية للشيخ خضر المهراني أن نميز بين مرحلتين في حياته في بلاد الشام ومصر:

المرحلة الاولى :

تبدا بعد انتقال الشيخ خضر من بلدته الى بلاد الشام وانشغاله بالعبادة والانقطاع باحد جبال دمشق وملازمته الذكر ومصاحبة الصالحين حتى عد من خيار الصوفية البسطاء.

المرحلة الثانية :

تبدا من بدء حكم الملك الظاهر بيبرس ٦٥٨ه/١٢٦٠م وحتى اعتقاله سنة ٦٧١ه/١٢٧٢م، في هذه المرحلة كان الشيخ خضر يعد من ابرز المتنفذين داخل الدولة على الرغم من انه لم يكن شخصا رسميا فيها وكانت كلمته مسموعة ويده مطلقة في التصرف.

ويرى البحث (ان سيرة الشيخ خضر الصوفية انتهت بانتهاء المرحلة الاولى من حياته في بلاد الشام و مصر، فمنذ ان تسلطن الملك الظاهر بيبرس و بالغ في اكرام الشيخ و قربه من البلاط الصوفية و اصبح منشغلاً بهموم دنيوية، وحتى احيانا استخدم سلبا" نفوذه الواسع داخل الدولة ووقع هو بنفسه ضحية تلك الامكانيات و النفوذ التى هيأت هيا له ما سبب في تهيئة الاجواء المناسبة لتلك التجاوزات التى سجلت عليه و يستشف من فحوى الاتهامات الموجهة اليه انها اتهامات اخلاقية تتسم بكونها تعد من الكبائر وحتى ان المصادر اشارت اليها بحذر باعتبار

انها لاتكاد تصدر من مسلم كما اشرنا سابقا، ونرى انها اثيرت و تضخمت بتدبير اعداء الشيخ من بعض رجال الدولة الذين وجدوا في الشخ منافسا متنفذا داخل الدولة ويشكل بقاءه خطر على تطعاتهم السياسية وحسب قول المناوى مؤرخ الصوفية لم يزل الحسدة يفتنون بينه وبين الملك الظاهر حتى حبسه [٤٧]وبهذا نستطيع ان نقول ان الشيخ خضر المهراني برز واشتهر صوفيا ولكنه اعتقل ومن ثم مات وهو اقربالى سدة الحكم من زوايا الصوفية.

وبعد كل ما تطرقنا اليه فيما يتعلق بالشيخ المهراني نختتم بما ختم به المؤرخ اليونيبي كلامه عن الشيخ وهو قوله ((وكانت احواله عجيبة لاتتكيف وهو غير متناسية ولامنتظمة الاحوال فيها[٤٨] مختلفة، فمن الناس من يثبت صلاحه، ومنهم من يرميه بالعظائم و التوسط في معناه انسب- رحمه الله))[٤٩].

الخاتمة

من خلال دراسة سيرة الشيخ خضر ومايتعلق بها من نشاطات و اعمال وبعد استقراءها وتحليلها توصل البحث الى الاستنتاجات الاتية:

- ان الشيخ خضر المهراني كان من اتباع طريقة الشيخ عدى بن مسافر الهكاري بدليل نسبته العدوى هذا من جهة ومن جهة اخرى يمكن ان نستنتج من ذلك ان البدايات الاول لحياته الصوفية بدات من بلدته (جزيرة ابن عمر) حيث انتشرت الطريقة العدوية في التصوف.
- لم يبرز الشيخ خضر متصوفا،ا لابعد ان انتقل الى بلاد الشام و انقطع للعبادة هناك وتردد اليه الناس و اصبح معتقدا لدى الخاص والعام وبسبب شهرته وطدت علاقته مع الامير سيف الدين قشتمر العجمي الذي اصبح فيما بعد حلقة الوصل بين الشيخ و بقية امراء المماليك و على راسهم الامير بيبرس البندقداري.
- بدا اعجاب السلطان الظاهر بالشيخ بعد ان تحققت نبوئته بصدد تولية الظاهر الحكم في الدولة المملوكية. ومما زداد من اعتقاده به هو تحقيق نبوءات اخرى للشيخ فيما تتعلق بمعارك و غزوات قام بها الملك الظاهر وهذا بدوره ادى الى ازدياد نفوذه داخل الدولة و يلحظ انه كان يكاتب نواب و امراء المماليك وكتبه لاترد و يتصرف تصرف الحكام.
- من خلال عرض و تقيم المعلومات التاريخية المتعلقة بسيرة الشيخ خضر، نلاحظ انه قام وبدعم من الملك الظاهر بانشاء زوايا في عدد من المدن و البلدات في مصر و بلاد الشام لاتباعه و مريديه اى انه حاول تقوية طريقته الصوفية وبعد ان استقر به المقام في القاهرة عين نواب له في مختلف المناطق للاشراف على تلك الزوايا و اوقافها وبهذا شكل لنفسه قاعدة تستند اليها في تقوية نفوذه.
- صرحت المصادر ان سلطة الشيخ شغلت بال كبار امراء و وزراء الدولة المملوكية اذ وجدوا فيها عائقا امام تطلعاتهم و صلاحياتهم وخططوا لتشويه سمعة الشيخ وذلك بتوجيه اتهامات اخلاقية اليه، ما يجعلنا ان نشكك في صحة تلك الاتهامات هو اجماع المصادر ان بعض امراء و وزراء المماليك اجبروا نواب الشيخ و امراة بنت ابن نظيف بالترهيب و الترغيب للاعتراف على الشيخ ولنا ان نستفسر لماذا لم يقدم اولئك النواب على المبادرة بانفسهم للاعلان عن موقعهم وتوجيه تلك الاتهامات دون ضغوطات و ترهيب من السلطان؟ لذا نعتقد ان التخطيط لتلك الاتهامات و تضخيمها كانت تهدف بالدرجة الرئيسته الى ارباك علاقة الشيخ مع الملك الظاهر و بالتالى ازاحة الشيخ عن مسرح السلطة في القاهرة و حتى قتله اذا امكن.

الهوامش

(١) اليونيبي، ذيل مراة الزمان (الدكن:١٩٥٤)، ج٣، ص٢٦٤.الكتبى ،عيون التواريخ،تحقيق:نبيلة عبدالمنعم داود و فيصل السامر (بغداد:١٩٨٤)ج٢١،ص١٤٥،ابن تغرى بردى:النجوم الزاهرة فى ملوك مصروالقاهرة،(القاهرة:د،ت)ج٧،ص٢٧٦.
(٢) ابن الملقن، طبقات الاولياء، حققه وخرج: نورالدين شريبة (بيروت: د.ت)، ص٤٣١ ؛ المقريزي، خطط المقريزي، (بغداد:د.ت)، ج٢، ص٤٣٠.
(٣) المهراني، نسبة الى القبيلة الكردية المشهورة التى ورد ذكرها بشكل رئيسى خلال الحروب الصليبية، ينظر: الاصفهاني، الفتح القسي في الفتح القدسي، تحقيق: محمد محمود صبح، (القاهرة:١٩٦٥)، ص ص٣٢٨، ٥١٣.
(٤) العدوي: نسبة الى الصوفي المشهور عدى بن مسافر الهكاري الذي ولد في بعلبك واستقر في منطقة الهكارية ببلاد الكرد، و نسب اليها واشتهرت طريقته في التصوف بالعدوية توفى سنة ٥٥٨ه/١١٦٣م. ينظر: ابن خلكان، وفيات الاعيان وانباء ابناء الزمان، تحقيق: احسان عباس، (بيروت:١٩٦٩)، ج٣، ص ص ٢٥٤-٢٥٥.
(٥) اليونيبي، مصدر السابق، ج٣، ص٢٦٤ ؛ ابن تغرى البردى، مصدر السابق، ج٧، ص٢٧٦.
(٦) ابن كثير، البداية والنهاية،(بيروت:١٩٩٧) ج١٣/٢١٠ ؛ ابن تغري بردي، المنهل الصافي والمستوفي بعد الوافي، حققه وخرج حواشيه: محمد محمد امين، (القاهرة:١٩٨٦) ج٥، ص٢١٨ .
(٧) من المرجح انه هو نورالدين بن عمر الهكاري (ت٦٧٨ه/١٢٧٩م) الذي كان نائب السلطة في مدينة حلب خلال الحقبة (٦٥٩-٦٧٨ه/١٢٦١-١٢٧٩) وبعد من اجل الامرا واعظمهم. ينظر الذهبي، تاريخ الاسلام حوادث (٦٧١-٦٨٠) تحقيق، عمر عبدالسلام تدمري (بيروت:١٩٩٩) ص ص٣٠٧-٣٠٨؛ الكتبي، مصدرسابق،ج٢١، ص٢٣٥ .
(٨) الدواداري، الدرة الزكية في اخبار الدولة التركية، الجزء الثامين من كتاب(كنز الدرر وجامع الغرر، تحقيق: اولرخ هارمان، (القاهرة:١٩٧١) ص٢٢٠.
(٩) المصدر نفسه، ص٢٢١. قارن ب الكتبي ، عيون التواريخ، ج٢١، ص١٤٥.
(١٠) ابن الملقن. مصدر سابق، ص٤٣١.
(١١) العيني، عقد الجمان في تاريخ اهل الزمان، تحقيق: محمد محمد امين(القاهرة: ١٩٩٢) ج٢، ص١١٠.
(١٢) الذهبي، العبر في خبرمن غبر، تحقيق: أبو هاجر محمد بن بسيوني زغلول، (بيروت: د.ت) ج٣،ص٣٣٢؛ قارن- الصفدي الوافي بالوفيات، تحقيقواعتناء:احمد الارناءوط و تركى مصطفى(بيروت:٢٠٠٠)ج١٣ ص٢٠٦.
(١٣) سعيد عبدالفتاح عاشور، الظاهر بيبرس، (القاهرة، ١٩٦٣) ص ص ٣٤-٣٧ .
(١٤) ينظر، اليونيبي، مصدر سابق، ج٣،ص ص٢٦٤-٢٦٥؛ الدواداري، مصدر سابق، ج٨، ص٢٢١؛ المقريزي، مصدر سابق ، ج٤، ص٤٣٠.
(١٥) الصفدي، مصدر سابق، ج١٣، ص٢٠٦؛ ابن الملقن، مصدر سابق ، ص٤٣١
(١٦) ابو الفداء، المختصرفى اخبار البشر، (القاهرة:د.ت) ج٣، ص١٩٩ ؛ موسى مصطفى الهسنياني، السنوات الاخيرة من حياة دولة الكورد الايوبية في مصر و بلاد الشام، (اربيل:٢٠٠٧) ص٢٥٦.
(١٧) سعيد عبدالفتاح عاشور، مصر و الشام في عصر الايوبين و المماليك (بيروت:١٩٧٢) ص١٦٦.
(١٨) اليوبيني، مصدر سابق، ج٣، ص٢٦٥ ؛ الكتيبى، عيون التواريخ، ج٢١، ص١٤٥ ؛ ابن تغردي، النجوم الزاهرة، ج٧، ص٢٧٦.
(١٩) ابن كثير، مصدر سابق، ج١٣، ص٢١٠.

[٢٠] اليونيبي، مصدر سابق، ج٣، ص٢٦٥ ؛ الدوادارى، مصدر سابق، ج٨، ص٢٢١.وينظر القصيدة فى :الصفدى ،مصدر سابق ،ج١٣، ٢٠٧.
[٢١] ابن كثير، مصدر سابق، ج١٣، ص١٩٩.
[٢٢] الدوادارى، كنز الدرر، ج٨، ص٢٢٢.
[٢٣] اليونيبي، ذيل مراة الزمان، ج٣، ص ص٢٦٧-٢٦٨.
[٢٤] الصفدى، الوافي بالوفيات، ج١٣، ص٢٠٧ ؛ المقريزى، الخطط، ج٢، ص٤٣٠.
[٢٥] ينظر: شافع بن علىابن عباس، حسن المناقب السرية المنتزعة من السيرة الظاهرة، تحقيق ونشر: عبدالعزيز عبدالله الخويطر،(الرياض:١٩٨٩) ص٢٢٨.
[٢٦] على باشا مبارك، الخطط التوفيقية لمصر و القاهرة و مدنها وبلادها القديمة و الشهيرة (القاهرة:١٩٨٧) ج٦،ص٧٢.
[٢٧] اليونيبي، ديل مراة الزمان، ج٣، ص٢٦٨ ؛ ابن كثير، البداية و النهاية، ج١٣، ص١٩٩ ؛ العينى، عقد الجمان، ج٢، ص١١٠ ؛ ابن تغرى بردى، النجوم الزاهرة، ج٧، ص١٦٢.
[٢٨] الكتيبي، عيون التواريخ، ج٢١، ص١٤٩ ؛ الصفدى، الوافي بالوفيات، ج١٣، ص٢٠٧ ؛ المقريزى، الخطط، ج٢، ص٤٣١.
[٢٩] ابن الملقن، طبقات الاولياء، ص٤٣٢.
[٣٠] المناوى، الكواكب الدرية في تراجم السادة الصوفية، تحقيق: محمد اديب جادر (بيروت:١٩٩٩) ج٣، ص٢٧.
[٣١] البغدادى، هدية العارفين، (استنبول: ١٩٥١) ج١، ص٣٤٥.
[٣٢] الصفدى، الوافي بالوفيات، ج١٣، ص٢٠٦ ؛ المقريزى، السلوك لمعرفة دول الملوك، تحقيق: محمد عبدالقادر عطار (بيروت: ١٩٩٧) ج٢، ص٨٢.
[٣٣] اليونيبي، ذيل مرأة الزمان، ج٣، ص٢٦٦ ؛ الذهبي، العبر، ج٣، ص٣٣٢ ؛ الكتبي، عيون التواريخ، ج٢١، ص١٤٧.
[٣٤] ابن كثير، البداية و النهاية، ج١٣، ص٢١٠ ؛ ابن طولون، القلائد الجوهرية في تاريخ الصالحية، تحقيق: محمد أحمد دهمان، (دمشق، ١٩٨٠) ج١، ص٣٦٣.
[٣٥] كنز الدرر، ج٨، ص ص٢٢٢-٢٢٣ ؛ قارن ب المقريزي، الخطط، ج٢، ص٤٣١ ح السلوك، ج٢، ص١٠٢.
[٣٦] مسالك الابصار فى ممالك الامصار،تحقيق:بسام محمد بارود(ابوظبى:٢٠٠٠)، س٨، ص٢٧١.
[٣٧] اليونيبي، مرآة الزمان، ج٣، ص٢٦٦ ؛ العمري، مسالك الابصار، س٨، ص٢٦٩ ؛ الكتبي، عيون التواريخ، ج٢١، ص١٤٧.
[٣٨] الدواداري، كنز الدرر، ج٨، ص٢٢٢.
[٣٩] اليونيبي، ديل مرآة الزمان، ج٣، ص ص٢٦٧-٢٦٨ ؛ وينظر الصفدي، الوافي بالوفيات، ج١٣، ص٢٠٦، المقريزي، الخطط، ج٢، ص٤٣٠ .
[٤٠] ابن الملقن، طبقات الاولياء،ص٤٣١ .
[٤١] وردت عند اليافعي (ومردكه) ينظر، مرآة الجنان، ج٤، ص١٤١ .
[٤٢] العبر، ج٣، ص٣٣٢ .
[٤٣] الكتبي، فوات الوفيات، ج١، ص٤٠٤، الصفدي، الوافي بالوفيات، ج١٣، ص٢٠٦.
[٤٤] الباطولي: لم نجد فى القواميس المتاحة معنى لها والظاهر مشتقة من بطلان.
[٤٥] الذهبي، تاريخ الاسلام، ص٢٢٣، الصفدي، الوافى، ج ١٣، ص٢٠٦-٢٠٧.
[٤٦] البداية والنهاية، ج١٣، ص١٩٩.
[٤٧] ينظر: الكواكب الدرية ، ج٣، ص٢٧ .
[٤٨] كذا وردت في المصدر والاصح كما وردت عند الكتيبي (الاقوال فيه) .
[٤٩] ذيل مراة الزمان، ج٣، ص٢٦٨، عيون التواريخ، ج٢١، ص١٤٩.

قائمة المصادر والمراجع

اولا:المصادر

الاصفهاني، عماد الدين محمد بن محمد(ت٥٩٧ه/١٢٠٠م)
الفتح القسي في الفتح القدسي، تحقيق: محمد محمود صبح،الدار القومية للطباعة والنشر، (القاهرة:١٩٦٥)
ابن تغرى بردى:جمال الدين ابى المحاسن يوسف الاتابكى(ت٨٧٤ه/١٤٦٩م)
النجوم الزاهرة فى ملوك مصروالقاهرة،مطبعة كونستاس تسوماس وشركاءه ،(القاهرة:د،ت)
المنهل الصافي والمستوفي بعد الوافي،حققه وخرج حواشيه: محمد محمد امين،الهيئة المصرية العامة للكتاب (القاهرة:١٩٨٦)
ابن خلكان،ابو العباس شمس الدين احمد بن محمد(٦٨١ه/١٢٨٢م)
وفيات الاعيان وانباء ابناء الزمان، تحقيق: احسان عباس،دار صادر، (بيروت:١٩٦٩)
الدواداري،ابوبكر بن عبدالله بن ايبك(ت٧٣٦ه/١٣٣٦م)
الدرة الزكية في اخبار الدولة التركية، الجزء الثامين من كتاب(كنز الدرر وجامع الغرر)، تحقيق: اولرخ هارمان، (القاهرة:١٩٧١)
الذهبى،شمس الدين محمدبن احمد بن عثمان(ت٧٤٨ه/١٣٤٧م)
تاريخ الاسلام حوادث (٦٧١-٦٨٠) تحقيق، عمر عبدالسلام تدمري،دار الكتاب العربى، (بيروت:١٩٩٩)
العبر في خبرمن غبر،تحقيق: أبو هاجر محمد بن بسيوني زغلول،دار الكتب العلمية، (بيروت: د.ت)
شافع بن علىابن عباس(ت٧٣٠ه/١٣٣٠م)
حسن المناقب السرية المنتزعة من السيرة الظاهرة، تحقيق ونشر: عبدالعزيز عبدالله الخويطر،الطبعة الثانية، (الرياض:١٩٨٩).
الصفدي ،صلاح الدين خليل بن ايبك (ت٧٦٤ه/١٣٦٣م)
الوافي بالوفيات،ج١٣، تحقيق واعتناء:احمد الارناءوط و تركى مصطفى ،دار احياء التراث العربى(بيروت:٢٠٠٠).
ابن طولون،شمس الدين محمد(ت٩٥٣ه/١٥٤٥م)
القلائد الجوهرية في تاريخ الصالحية، تحقيق: محمد أحمد دهمان،مكتب الدراسات الاسلامية،(دمشق، ١٩٤٩)
العمرى،شهاب الدين احمد بن يحيى بن فضل الله(ت٧٤٩ه/١٣٤٨م)
:مسالك الابصار فى ممالك الامصار،تحقيق:بسام محمد بارود(ابوظبى:٢٠٠٠)
العيني،بدر الدين محمود (ت٨٥٥ه/١٤٥١)
عقد الجمان في تاريخ اهل الزمان، تحقيق: محمد محمد امين ،الهيئة المصرية العامة للكتاب،(القاهرة: ١٩٩٢)
ابو الفداء،عمادالدين اسماعيل بن محمد بن عمر(ت٧٣٢ه/١٣٣١م)
المختصرفى اخبار البشر،دارالمعرفة للطباعة والنشر، (القاهرة:د.ت)

الكتبى،محمد بن شاكر بن احمد(ت٧٦٤ه/١٣٦٣م)
عيون التواريخ،تحقيق:نبيلة عبدالمنعم داود و فيصل السامر،دار الحرية للطباعة، (بغداد:١٩٨٤)

ابن كثير،عمادالدين ابوالفداء اسماعيل القرشى الدمشقى(ت٧٧٣ه/١٣٧٢م)
البداية والنهاية،حقق نصوصه وعلق عليه:مكتب التحقيق بداراحياء التراث العربى،(بيروت:١٩٩٧)
المقريزي،تقى الدين احمد بن على(ت٨٤٥ه/١٤٤١م)
خطط المقريزي، اعادة الطبع بالاءوفسيت مكتبة المثنى،(بغداد:د.ت)
السلوك لمعرفة دول الملوك، تحقيق: محمد عبدالقادر عطا،دار الكتب العلمية، (بيروت: ١٩٩٧)
ابن الملقن،سراج الدين ابن حفص عمر بن على المصرى(ت٨٠٤ه/١٤٠١م)
طبقات الاولياء، حققه وخرجه : نورالدين شريبة،دارالمعرفة، (بيروت: د.ت)
المناوى،عبدالرءوف (ت١٠٢٢ه/١٦١٣م)
الكواكب الدرية في تراجم السادة الصوفية، تحقيق: محمد اديب جادر (بيروت:١٩٩٩)
اليونيني،ابولفتح موسى بن محمد(ت٧٢٦ه/١٣٩٥م)
ذيل مراة الزمان،مطبعة مجلس دائرة المعارف الثمانية بحيدر اباد (الدكن:١٩٥٤)

ثانيا/ المراجع

البغدادى،اسماعيل باشا محمد امين البابانى
هدية العارفين فاسماء الموءلفين واثار المصنفين،منشورت مكتبة المثنى ، (استنبول: ١٩٥١)
سعيد عبدالفتاح عاشور،
الظاهر بيبرس، الموسسة المصرية للنشر (القاهرة، ١٩٦٣)
مصر و الشام في عصر الايوبين و المماليك دار النهضة العربية، (بيروت:١٩٧٢)
على باشا مبارك،
الخطط التوفيقية لمصر و القاهرة و مدنها وبلادها القديمة و الشهيرة ،الهيئة المصرية العامة للكتاب،الطبعة الثانية،(القاهرة:١٩٨٧)
موسى مصطفى الهسنياني،
السنوات الاخيرة من حياة دولة الكورد الايوبية في مصر و بلاد الشام،مطبعة وزارة الثقافة، (اربيل:٢٠٠٧)

Dr. Kadir Muhammad Hassan
Lecturer
University of salahaddin
College of Arts

Abstract

This researg entitled (al- sheikh khdr al-kurdy al-mahrany and his role and effect in Egypt and Syria) al- sheikh khdr was one of the sufi (mystic) character who had special relation with sultan al-dhahr baybris (658- 676 h) .

Thy study consists of an introduction , five subjects and conclusion , the first subject approaches the name and parentage of al- sheikh , the second subject concetratrates his biography beginning from hisearly life and transition to Syria . the third subject deals with the relationship between sheikh and sultan al- dhahr baybris with increase of sheikh influence and authority in mamluk stats , the forth subject approaches the importance of his civilization activities in Egypt and Syria especially in field of construction , the fifth subject is concerned with studding of the end of the sheikh role by imprisonment hem and finally his death in jail at 676 h